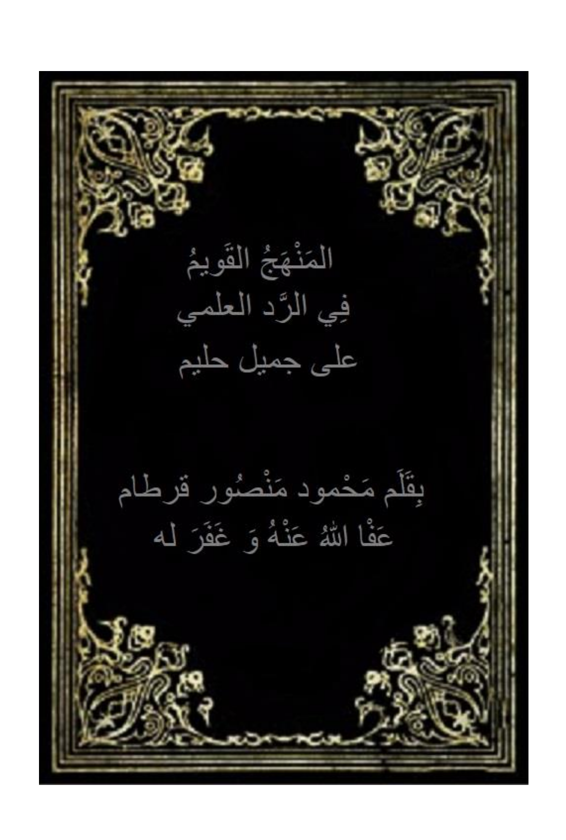


بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمْ

الْحَمْدَ للهِ المقسط العدل الحكيم نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَصِفِيُّهُ وَحَبِيبُهُ، بَلَّغَ الرِّسَالَةَ وَأَدَّى الأَمَانَةَ فَجَزَاهُ اللهُ عَنَّا خَيْرَ مَا جَزَى نَبِيًّا مِنْ أَنْبِيَائِهِ. اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِهِ وَصَحْبِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ.

أَمَّا بَعْدُ: فقد قال الله تعالى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ: ﴿الأَخِلاَءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ﴾ مَعْنَى هَذِهِ الآيَةِ أَنَّ الأَخِلاَءَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ أَيْ إِلاَّ الَّذِينَ يَتَعَاوَنُونَ عَلَى الْخَيْرِ، أَيْ إِلاَّ الَّذِينَ يَتَمَسَّكُونَ بِشَرِيعَةِ اللهِ فَلاَ يَغُشُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا في الدين والدنيا في معصية الله تعالى.

أَمَّا هَؤُلاَءِ النَّاسُ الَّذِينَ يَتَعَاوَنُونَ فِي الدُّنْيَا عَلَى الْمَعْصِيَةِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدَوٌّ، مَهْمَا كَانَتْ صَدَاقَتُهُمْ فِي الدُّنْيَا قَوِيَّةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَنْقَلِبُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوًّا.

قال ابن الجوزي في زاد المسير: قوله تعالى: الْأَخِلَّاءُ أي في الدنيا يَوْمَئِذٍ أي في القيامة بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ لأن الخُلَّة إذا كانت في الكفر والمعصية صارت عداوةً يومَ القيامة انتهى .

الَّذِينَ يَتَحَابُّونَ فِي اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ يُوجَدُ إِلاَّ ظِلُّ الْعَرْشِ، الْمُتَحَابُّونَ فِي اللهِ مَعْنَاهُ يَتَعَاوَنُونَ عَلَى الْخَيْرِ لَيْسَ عَلَى الشَّرِّ عَلَى الْمَعْصِيَةِ، أُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ يَكُونُونَ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ.

وفي صحيح البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ ". فالتحاب في الله سبب في كون المؤمن في ظل العرش يوم القيامة وهو من الأمور التي توصل الى محبة الله، وقد روي عنه عليه الصلاة والسلام:"تصافوا الحب في الله".

فهذا يأمر هذا بالخير وهذا يأمره بخير، ينصحه ولا يغشه ولا يداهنه ولا يخدعه، ينهاه عن الشر، يتعاونان على الطاعات وهجران المعاصي وإبداء النصيحة.

وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم هؤلاء الذين تحابوا في الله بأن وجوههم نور على منابر من نور يفرح لهم النبيون والشهداء لما لهم من الفضل والمنْزلة.

وَقَالَ سيدنا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: (إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ عِبَادًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ تَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِمَكَانِهِمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى). قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، خَبِّرْنَا مَنْ هُمْ وَمَا أَعْمَالُهُمْ فَلَعَلَّنَا نُحِبُّهُمْ. قَالَ: (هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا فِي اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ وَلَا أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَ بِهَا فَوَاللَّهِ إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ وَإِنَّهُمْ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ- ثُمَّ قَرَأَ-" أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ". رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ جَرِيرٌ عَنْ عُمَارَةَ بنِ الْقَعْقَاعِ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ عَنْ عَمْرِو بنِ جَرِيرٍ عَن عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمِثْلِهِ وَهَذَا أَيْضًا إِسْنَادٌ جَيِّدٌ إِلَّا أَنَّهُ مُنْقَطِعٌ بَيْنَ أَبِي زُرْعَةَ وَعُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وفي مسند الإمام أحمد: عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «يَأْتِي مِنْ أَفْنَاءِ النَّاسِ وَنَوَازِعِ الْقَبَائِلِ قَوْمٌ لَمْ تَتَّصِلْ بَيْنَهُمْ أَرْحَامٌ مُتَقَارِبَةٌ تَحَابُّوا فِي اللَّهِ وَتَصَافَوْا فِي اللَّهِ يَضَعُ اللَّهُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ فَيُجْلِسُهُمْ عَلَيْهَا يَفْزَعُ النَّاسُ وَلَا يَفْزَعُونَ وَهُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هم يحزنون» الحديث.

واعلم أن بعض الناس في عصرنا من يظن بحاله أنه بلغ مبلغ الفتيا والفتوى، وشاهدنا ورأينا من بعضهم مَن يستقل بمفاهيم خاصة وأحكام خاصة واستنباطات خاصة لا يحيد عنها قيد أنملة فيعممها مع كثره

الخلاف فيها، وقد رأينا تكاتفهم والمحاباة بينهم على فتاوى باطلة ظاهرة البطلان، والساكت عن الحق شيطان أخرس.

قال الطبل الفارغ جميل حليم في كتابه الرد العلمي على ضلالات محمد راتب النابلسي- شملني التحذير في صحيفتين من كتابه خصص الطعن بي، وشنع علي ورجمني رجم سوء وبغي من غير أن يذكر موضع خروجي عن معتقد أهل السنة والجماعة، ومن غير أن ينبه أو يذكر المسائل التي خرجت بها عن معتقد أهل السنة، مما يدل على سوء طويته ونيته، وزعم هذا الجاهل المغرور أني ممن يروج للكفر والفجور قاتله الله وأهلكه بما افترى فيه علي، واختلقه.

والغريب أن هذا الرجل يقيل بل يبيت في أحضان أهل البدع ولكنه يخشى أن يحذر منهم أو يذكرهم بأسمائهم، ومن جهله أيضا أن يجمعني مع الذين انتشرت مخالفتهم ومبيانتهم لأهل السنة والجماعة وإنكارهم لبعض اصول أهل السنة.

قال الطبل الفارغ جميل حليم في كتابه: وقد ورد في الأثر: إذا ظهرت البدع وسكت العالم لعنه الله، والبدع هنا العقائد المخالفة لعقيدة أهل السنة والجماعة، كالعقائد التي يروج لها أعداء السنة ممن ينتسبون كذبا وزورا للسنة، والسنة منهم براء، كأمثال محمد راتب النابلسي هذا، وعدنان إبراهيم الفلسطيني، وخالد بركات السوري، وعمرو خالد ، وخالد الجندي المصريين ، وعبد الرحمن دمشقية اللبناني المشبه المجسم، ومحمود منصور قرطام الفلسطيني المعروف بالحبتري ذنب المجسمة الذي يدعو لتأييد البدعيين ،

والدفاع عنهم، ويهدم ويخرب على أهل السنة والجماعة، والذي فضح نفسه بما ينادي عليها من جهل عريض وسخف كبير، فإنه تجاوز حده وتعدى قدره، فأذل نفسه وحقرها وفضحها وصار أضحوكة لطلبة العلم المبتدئين، وغيره من أمثال هؤلاء المفسدين في الأرض والمروجين للكفر والفجور . اهـ هذيانه مما نسبه إلي.

قلت قرطام: ردودي شاهدة أني التزمت بأصول وقواعد أهل السنة ولم أخرج عن اعتقادهم، ولم أذكر إلا ما ذكروه من الأحكام وبيان مواضع الخلاف وعدم التسرع في نقل إجماعات مزعومة كما زعمتَ في كتبك وادعيت الإجماع على مسائل الخلاف فيها شهير ومشهور بين أئمة السنة وبين طلبة العلم، وما قمتُ به نحوك قومت به اعوجاجك لعلك ترعوي وترجع وتنيب، وأنت وأمثالك تتقحمون على النَّار، وقد عنظى وحنظى وخنذى هذا الرجل بالكلام القبيح والفحش، وكأنه لا يدري ما يخرج من رأسه وهو أشبه بالطبل الفارغ.

هَا أَنا أذكر وأبين ما اختلفت فيه معك ومع أصحابك ومشايخك، ونضعه في ميزان الاعتدال لكل مطالع وقارئ ومسترشد وطالب للحق، ونرى من خلاله من خالف قواعد وأصول السنة ولن تقدر أن تثبت لا أنت ولا غيرك من جهلة قومك أني أتبنى عقيدة التجسيم والتشبيه، وغاية ما ذكرته وبينته نفي إجماعاتك المشؤومة والسقيمة التي تؤدي إلى تضليل كثير من أئمة أهل السنة وعلمائها.

وهذا أوان الشروع لمن منهجه الاتباع لا الابتداع.

ففي المطالب الوفية: قال: فإن قيل ما حكم قول المعتزلة سميع بذاته بصير بذاته عليم بذاته؟ فالجواب أنه كفر أما من لم يكفرهم فإن كان يفهم من كلامهم منع زيادة الصفة لا أصل الصفة فلا يكفر، أما من كان يفهم منهم نفي أصل الصفة فيكفر ومن شك في كفره عندئذ أو لم يكفره يكفر، ثم إن المعتزلي بقوله الله سميع بذاته لا بصفة يكون في الحقيقة نفى كونه تعالى عالما وسميعا وبصيرا وقادرا وإنما تعمية على الناس يقول سميع بذاته لا بسمع فهو مناقض نفسه، ولذا قال بعض العلماء المعتزلة يكفرون حتى لو أرادوا منع زيادة الصفة لأنه يلزم من قولهم هذا نفي أصل الصفة، ونحن لا ننفي عنهم الكفر بل الصواب تكفيرهم ولا ينفعهم قولهم سميع بذاته لا بسمع قائم بذاته، عالم بذاته لا بعلم لأن هذا تناقض، كالذي يقول هو واحد وليس بواحد أو عالم وليس بعالم هذا حاصله.اهـ"[1].

قلنا: الكلام المنسوب للشيخ عبد الله الهرري يرده شهرة الخلاف في هذا الصنف من المعتزلة بين جمهور الأشاعرة من شافعية ومالكية وحتى الحنابلة عموما، حتى يجعل مسألة المعتزلة من الصريح، والخلاف فيها شهير.

وقد جعل جميل حليم في كتابه" نقل الاجماع الحاسم" [2]قول المعتزلة من اللازم البين أي الصريح، قال ما نصه: فاللازم البين قول لقائله كقول

---

[1] ص/ 120.
[2] ص/367.

المعتزلة: عالم بلا علم، لازمه بين، لزوم الفساد فيه بين، لأنه كقوله: ليس بعالم، عالم بلا علم، مثل قول: الله ليس بعالم. انتهى.

يعني عند جميل حليم أن قول المعتزلة من الكفر الصريح.

الرد على جميل حليم الضال: قال الحافظ القاضي عياض المالكي في الشفا بتعريف حقوق المصطفى[3] وهذا الكتاب تواترتداوله بين الفقهاء والعلماء

فأما من أثبت الوصف، ونفى الصفة فقال: أقول عالم ولكن لا علم له، ومتكلم ولكن لا كلام له. وهكذا في سائر الصفات على مذهب المعتزلة. فمن قال بالمآل لما يؤديه إليه قوله ويسوقه إليه مذهبه كفره.. لأنه إذا نفى العلم انتفى وصف عالم.. إذ لا يوصف بعالم إلا من له علم فكأنهم صرحوا عنده بما أدى إليه قولهم...... ومن لم ير أخذهم بمآل قولهم ولا ألزمهم موجب مذهبهم لم ير إكفارهم.

قال: لأنهم إذا وقفوا على هذا قالوا: لا نقول ليس بعالم، ونحن ننتفي من القول بالمآل الذي ألزمتموه لنا، ونعتقد نحن وأنتم أنه كفر، بل نقول: إن قولنا لا يؤول إليه على ما أصلناه. فعلى هذين المأخذين اختلف الناس في إكفار أهل التأويل، وإذا فهمته اتضح لك الموجب لاختلاف الناس في ذلك.

والصواب ترك إكفارهم، والإعراض عن الختم عليهم بالخسران، وإجراء حكم الإسلام عليهم في قصاصهم، ووراثاتهم، ومناكحاتهم، ودياتهم، والصلاة

3 الحافظ عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: 544هـ)

عليهم، ودفنهم في مقابر المسلمين، وسائر معاملاتهم. لكنهم يغلظ عليهم بوجيع الأدب. وشديد الزجر والهجر حتى يرجعوا عن بدعتهم. وهذه كانت سيرة الصدر الأول فيهم. فقد كان نشأ على زمن الصحابة وبعدهم في التابعين من قال بهذه، الأقوال من القدر، ورأي الخوارج والاعتزال، فما أزاحوا لهم قبرا، ولا قطعوا لأحد منهم ميراثا، لكنهم هجروهم. وأدبوهم بالضرب. والنفي، والقتل، على قدر أحوالهم لأنهم فساق ضلال عصاة أصحاب كبائر عند المحققين وأهل السنة ممن لم يقل بكفرهم منهم، خلافا لمن رأى غير ذلك، والله الموفق للصواب.

قال القاضي أبو بكر: وأما مسائل الوعد والوعيد، والرؤية والمخلوق،[4] وخلق الأفعال، وبقاء الأعراض والتولد، وشبهها من الدقائق، فالمنع في إكفار المتأولين فيها أوضح.. إذ ليس في الجهل بشيء منها جهل بالله تعالى.. ولا أجمع المسلمون على إكفار من جهل شيئا منها.[5]

وقال الشيخ إبراهيم اللقاني في هداية المريد: قال المحقق المحلي: كَمُنْكِرِي صِفَاتِ اللَّهِ وَخَلْقِهِ أَفْعَالَ عِبَادِهِ وَجَوَازِ رُؤْيَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنَّا مَنْ كَفَّرَهُمْ أَمَّا مَنْ خَرَجَ بِبِدْعَتِهِ عَنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ كَمُنْكِرِي حُدُوث الْعَالَمِ وَالْبَعْث وَالْحَشْر

---

4 قال الفقيه علي القاري في شرح الشفا: (والمخلوق) أي الخلق كالمعقول بمعنى العقل أي خلق القرآن ومعناه أن القرآن مخلوق كما قالوه.

5 وكان قال في الفصل الذي قبله: " فأما من نفى صفة من صفات الله تعالى الذاتية، أو جحدها مستبصرا في ذلك كقوله: ليس بعالم ولا قادر ولا مريد ولا متكلم وشبه ذلك من صفات الكمال الواجبة له تعالى فقد نص أئمتنا على الإجماع على كفر من نفى عنه تعالى الوصف بها وأعراه عنها.

لِلْأَجْسَامِ وَالْعِلْمِ بِالْجُزْئِيَّاتِ فَلَا نِزَاعَ فِي كُفْرِهِمْ لِإِنْكَارِهِمْ بَعْضَ مَا عُلِمَ مَجِيءُ الرَّسُولِ بِهِ ضَرُورَةً. انتهى.

قال الإمام القاضي زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري في فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب: " وَ " تُقْبَلُ " مِنْ مُبْتَدِعٍ لَا نُكَفِّرُهُ " بِبِدْعَتِهِ كَمُنْكَرِي صِفَاتِ اللَّهِ وَخَلْقه أَفْعَالَ عِبَادِهِ وَجَوَاز رُؤْيَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِاعْتِقَادِهِمْ أَنَّهُمْ مُصِيبُونَ فِي ذَلِكَ لِمَا قَامَ عِنْدَهُمْ بِخِلَافِ مَنْ نُكَفِّرُهُ بِبِدْعَتِهِ كَمُنْكَرِي حُدُوثِ الْعَالَمِ وَالْبَعْثِ وَالْحَشْرِ لِلْأَجْسَامِ وَعِلْمَ اللَّهِ بِالْمَعْدُومِ وَبِالْجُزْئِيَّاتِ لِإِنْكَارِهِمْ مَا عُلِمَ مَجِيءُ الرَّسُولِ بِهِ ضَرُورَةً فَلَا تُقْبَلُ شَهَادَتُهُمْ ". انتهى .

وقال الفقيه أحمد النفراوي المالكي في الفواكه الدواني: وكمنكر خلق الله لأفعال العباد أو رؤيتِهِ يوم القيامة وكذلك سائر أهل البدع كالقدرية وغيرهم، وأكثر قول مالكٍ وأصحابه عدم تكفيرهم بل يؤدبون، أما من خرج ببدعته من أهل القبلة كمنكري حدوث العالم والبعث والحشر للأجسام والعلم للجزئيات فلا نزاع في كفرهم لإنكارهم بعض ما علم بمجيء الرسول به ضرورةً. انتهى.

وفي حاشية ابن عرفة الدسوقي على أم البراهين فإن قلت: المعتزلة ينفون المعاني والراجح عدم كفرهم، فما الفرق بينهما؟ قلت: المعتزلة إنما ينفون المعاني على الذات مع اعترافهم بثبوت أحكامها وهي المعنوية بخلاف الفلاسفة فإنهم ينفون المعاني وأحكامها، فيلزمهم ثبوت أضداها، فالمعتزلة يقولون إنه عالم بذاته، والفلاسفة يقولون إنه لا علم له أصلا، لا بالذات ولا

زائدا عليها، وهذه المقالة وهي نفيهم الصفات إحدى المقالات الثلاث التي كفرت بها الفلاسفة. والثانية نفي المعاد الجسماني وإثبات المعاد الروحاني، والثالثة أن النبوة مكتسبة، وزاد بعضهم رابعة وهي إنكارهم تعلق علم الله بالجزئيات. انتهى.

قال الشيخ أحمد الصاوي المالكي في شرح الجوهرة: وقد نفى المعتزلة تلك الصفات هروباً من تلك الشبهة، وقالوا: قادر بذاته إلى آخرها وهو مذهب باطل لكنه فسق وليس بكفر. انتهى.

وقال العلامة الأمير الكبير: قال المحقق الدواني في شرح العقائد العضدية: اعلم أن مسألة زيادة الصفات وعدم زيادتها ليست من الأصول التي يتعلق بها تكفير أحد الطرفين. إلى أن قال وفي يواقيت الشعراني في المبحث العاشر مواضع كثيرة جدا عن ابن عربي صريحة في أنه قادر بذاته الخ.

وشنع الغاية على من قال: صفاته ليست عين ذاته، قال الشعراني فتلخص من جميع كلام الشيخ رضي الله تعالى عنه ورحمه أنه قائل بالصفات عين لا غير (كشفا يقينا)، وبه قال جماعة من المتكلمين وما عليه أهل السنة والجماعة أولى، والله تعالى أعلم بالصواب. انتهى كلام الشعراني.

قلت وما نقله عجيب، ولا يعول على ما نقل عن الشيخ ابن عربي وهو غير مقبول، وهو خلاف معتقد ومعتمد أهل السنة والجماعة، إنما هو قول أهل الاعتزال والرافضة والزيدية وغيرهم، الذين هم ليسوا من أهل السنة والجماعة الذي لا يجرؤ جميل حليم الطبل الفارغ أن يتفوه ببنت شفه، ولم

ينبس هذا المغرور ببنت شفه فيهم أو يؤلف كتابا في شذوذهم ومخالفتهم، مع أن نصوصهم صريحة في ذم أهل السنة، وليس عواؤه على العبد الفقير قرطام في كتابه المسمى الرد العلمي إلا هراء، ولم يقدر أن يسوق دليلا في مخالفتي لقواعد أهل السنة والجماعة، سمعت منه ومن غيره جعجعة وَلَا أرى طحنا،وَسمعت عجة الْقَوْم وعجيجهم بدون دليل، إنما يدلسون على من وثقوا بهذا الطبل الفارغ .

قال الحافظ ابن حزم في الفصل:"وَأجْمع الْمُسلمُونَ على القَوْل بِمَا جَاءَ بِهِ نَص الْقُرْآن من أَن الله تَعَالَى سميع بَصِير ثمَّ اخْتلفُوا فَقَالَت طَائِفَة من أهل السّنة والأشعرية وجعفر بن حَرْب من الْمُعْتَزلَة وَهِشَام بْن الحكم وَجَمِيع المجسمة نقطع أَن الله سميع بسمع بَصِير ببصر وَذَهَبت طوائف من أهل السّنة مِنْهُم الشَّافِعِي وَدَاوُد بن عَليّ وَعبد الْعَزِيز بن مُسلم الْكِنَانِي رَضِي الله عَنْهُم وَغيرهم إِلَى أَن الله تَعَالَى سميع بَصِير وَلَا نقُول بسمع وَلَا ببصر لِأَن الله تَعَالَى لم يقلهُ وَلَكِن سميع بِذَاتِهِ وبصير بِذَاتِهِ. اهـ.

إنما نقلنا قوله لكي يعلم المطالع وجه الشبه بينه وبين جميل حليم في بعض نقول هذا الأخير إلى جهة عدم التحقق ما ينقل والتسرع في نسبة الأقوال إلى أصحابها على التوهم والخيال.

قلت: وما ذكره ابن حزم مذهب المعتزلة وما نقله عن الشافعي غير صحيح، وأصحاب الشافعي وأهل مذهبه أعلم وأدرى بمذهبهم منه مع علمه

وحفظه، فلا تلتفت لكلامه الساقط، كما لا تلتفت إلى كلام الطبل الفارغ جميل حليم فيما نسبه إلي.

قال العلامة محمد بن أحمد بن محمد الشهير بميارة: (الرابع) أنكرت المعتزلة صفات المعاني التي أثبتها جماعة أهل السنة ووافقوهم على اتصافه تعالى بأحكامها المعنوية وهي كونه تعالى قادراً ومريداً وعالماً وحياً وسميعاً وبصيراً ومتكلماً وقالوا يجب أن تكون هذه هي الأحكام واجبة لذاته تعالى ولاتعلل بصفات المعاني كما هو في الشاهد ويلزم من إنكار صفات المعاني إنكار أحكامها التي هي المعنوية وإنكارها كفر فإن قلنا لازم القول قول كفروا وإلا فلا و لمالكٍ و الشافعي و القاضي فيهم قولان وقد كنت قلت في هذا المعنى مبيناً للخلاف في لازم القول هل هو قول أو لا ومايبنبي عليه بيتين وهما: هل لازم القول يعد قولا-عليه كفر ذي هوى تجلى-كمثبت الأحكام للصفات مع - إنكاره لها فبئس ما ابتدع. انتهى المراد.

قلنا: تبين أنه لا إجماع في تكفيرهم في هذه القضية.

قال الشيخ حسن العطار في حاشيته على شرح المحلي على جمع الجوامع (قَوْلُهُ: وَصِفَاتُ ذَاتِهِ) لَمْ يَتَعَرَّضْ لِكَوْنِهَا زَائِدَةً عَلَى الذَّاتِ أَوْ لَا، لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ كَثْرَةِ النِّزَاعِ، وَنِعْمَ مَا قَالَ الْجَلَالُ الدَّوَانِيُّ فِي شَرْحِ الْعَقَائِدِ الْعَضُدِيَّةِ أَنَّ مَسْأَلَةَ زِيَادَةِ الصِّفَاتِ وَعَدَمِ زِيَادَتِهَا لَيْسَتْ مِنْ الْأُصُولِ الَّتِي يَتَعَلَّقُ بِهَا تَكْفِيرُ أَحَدِ الطَّرَفَيْنِ اهـ.

قال العلامة البيجوري على كفاية العوام للعلامة الفضالي الشافعي: لأنهم لا يثبتون" أي المعتزلة" القدرة كباقي صفات المعاني للمولى تبارك وتعالى بل يقولون هو قادر بذاته مريد بذاته وهكذا والصحيح أنهم لا يكفرون بذلك لأنهم لا يثبتون أضدادها. انتهى.

قال الإمام الحجة محمد الغزالي في «المنقذ من الضلال»: ولكن مجموع ما غلطوا فيه يرجع إلى عشرين أصلاً، يجب تكفيرهم في ثلاثة منها، وتبديعهم في سبعة عشر. ولإبطال مذهبهم في هذه المسائل العشرين صنفنا كتاب التهافت أما المسائل الثلاث، فقد خالفوا فيها كافة المسلمين وذلك في قولهم:

1- إن الأجساد لا تحشر، وإنما المثاب والمعاقب هي الأرواح المجردة، والمثوبات والعقوبات روحانية لا جسمانية. ولقد صدقوا في إثبات الروحانية: فإنها كائنة أيضاً، ولكن كذبوا في إنكار الجسمانية، وكفروا بالشريعة فيما نطقوا به.

2- ومن ذلك قولهم:"إن الله تعالى يعلم الكليات دون الجزئيات"، فهو أيضاً كفر صريح، بل الحق أنه:" لا يعزب عنه مثقال ذرةٍ في السمواتِ ولا في الأرضِ".

3- ومن ذلك قولهم: بقدم العالم وأزليته، ولم يذهب أحد من المسلمين إلى شيء من هذه المسائل، وأما ما وراء ذلك من نفيهم الصفات، وقولهم: إنه

عليم بالذات، ولا يعلم[6] زائد على الذات وما يجري مجراه، فمذهبهم فيها قريب من مذهب المعتزلة، ولا يجب تكفير المعتزلة بمثل ذلك. وقد ذكرنا في كتاب فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة ما يتبين به فساد رأي من يتسارع إلى التكفير في كل ما يخالف مذهبه. اهـ

وذكر قول الغزالي الحافظُ الزبيدي في إتحاف السادة المتقين"وفيه ومجموع ما غلطوا فيه" أي الفلاسفة" يرجع إلى عشرين أصلا يجب تكفيرهم في ثلاثة منها وتبديعهم في سبعة عشر".

ونقل بعضه الشيخ عبد الله الهرري في الدليل القويم.

وقال الشيخ عبد الله الهرري في بغية الطالب: ناقلا عن الإمام الغزالي، وقد كفرهم أبو حامد الغزالي في ثلاثة أشياء (لقولهم بأزلية العالم ولإنكارهم حشر الأجساد يوم القيامة ولقولهم الله لا يعلم الجزئيات إلا الكليات) فمن خالف أصلا من أصول الدين كهذه المسائل الثلاث فهو كافر ولو كان يصلي "أي" ظاهراً" ويصوم ويقول الشهادتين. انتهى كلام الشيخ عبد الله الحبشي رحمه الله تعالى.

قلنا: لم يتكلم على تكفيرهم في باقي المسائل، فلو أخذنا بالمفهوم المعتبر من كلامه، تعين نفي الكفر عنهم في قولهم: إنه عليم بذاته، قادربذاته، مريد بذاته.

---

6 كذا في النسخة المطبوعة، والظاهر يريد أن يقول (لا بعلم) الذي هو مذهب المعتزلة.

قلنا: بعد هذا البيان الواضح والكاشف عن الخلاف بين الأئمة قديما يطلع علينا بعض الناس أمثال الطبل الفارغ جميل حليم ويجعجع في النواحي ويصرح أن قول المعتزلة لازم بين وصريح في الكفر، مما يلزم منه تكفير من نفى الكفر عنهم من أهل العلم. وهذا الجهل الخطير ينبغي التحذير منه.

والعجب من هذا الطبل الفارغ جميل حليم لما أقمت عليه الحجة وبينت أن هذا الخلاف شهير بين الأشاعرة وليس ثمة إجماع راح يعمم الطعن والسب ويجاهر به هو ومن تبعه من أصحابه الغارقين في الوهم وقلة الفهم بقواعد الأشاعرة، وبدل أن ينصاعوا للحق تمادوا في الباطل والغرور.

قال أبو عبد الله بدر الدين الزركشي (المتوفى: 794هـ) في المنثور في القواعد الفقهية: وقال أيضاً: وَاعْلَمْ أَنَّ ابْنَ الرِّفْعَةِ، أَخَذَ مِنْ هَذَا الْخِلَافِ خِلَافًا فِي تَكْفِيرِ مُنْكِرِي صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، (وَقَضِيَّتُهُ) تَرْجِيحُ عَدَمِ التَّكْفِيرِ. انتهى.

وقال العلامة الزركشي: وقال الإمام أبو الفتح القشيري وقد اختلف الناس في التكفير وسببه حتى صنف فيه مفردا والذي " يرجع " إليه النظر في هذا أن لازم المذهب هل هو مذهب أم لا؟ فمن كفر المبتدعة قال: إنه " مذهب فيقول المجسمة كفار " لأنهم عبدوا جسما وهو غير الله تعالى ومن عبد غير الله تعالى كفر، ويقول: المعتزلة كفار " لأنهم وإن اعترفوا بأحكام الصفات فقد أنكروا الصفات ويلزم من إنكار الصفات إنكار أحكامها، ومن

أنكر أحكامها فهو كافر، " ولذلك " المعتزلة نسبت " إلى غيرها الكفر " بطريق المآل، قال: والحق أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة إلا بإنكار متواتر من الشريعة عن صاحبها فأنه " يكون " حينئذ " مكذبا للشرع وليس مخالفة القواطع مأخذ التكفير، وإنما مأخذه مخالفة القواعد السمعية القطعية طريقا ودلالة. اهـ المراد بنصه.

وقال العلامة الزركشي في البحر المحيط في أصول الفقه: وأخذ ابن الرفعة من هذا الخلاف تكفير منكري صفات الله، والأصح: عدم التكفير. اهـ.

قال الشيخ زكريا في أسنى المطالب: (فرع تقبل شهادة أهل البدع) كمنكري صفات الله وخلقه أفعال عباده وجواز رؤيته يوم القيامة لاعتقادهم أنهم مصيبون في ذلك لما قام عندهم. اهـ.[7]

قلت: وكلام ابن الرفعة والزركشي وزكريا الأنصاري وغيرهم ممن لا يكفرون المعتزلة بقولهم هذا، لا يعنون به قطعا جاحد نحو القدرة والعلم لأن الإجماع حاصل على تكفير جاحد القدرة والعلم ونحو ذلك، وإنما مرادهم ما ذهب إليه المعتزلة من إنكار صفات قائمة بالذات وليس إنكار أصل الصفة كالعالمية والقادرية لله، أي كونه قادرا، وكونه عالما ونحو ذلك، المعبر عنها

---

[7] وفي حاشية البجيرمي على الخطيب قوله: (وتقبل من مبتدع) فيه أنه فاسق ببدعته، إلا أن يقال: شبهته فيها وهو تأويله تمنع فسقه. قوله: (صفات الله) أي المعاني لأن نافي المعنوية يكفر للاتفاق عليها والمراد بإنكار المعاني إنكار زيادتها على الذات كأن يقول: الله قادر بذاته لا بصفة زائدة. كما تقول المعتزلة.

بالصفات المعنوية، لأنهم متفقون أن من أنكر ذلك وسلبه عن الله لا خلاف في كفره، فالمعتزلة مذهبهم أن الله قادر بذاته عالم بذاته من غير أن ينفوا عن الله القادرية والعالمية، أي كونه قادر، وكونه عالما الخ . وبقولهم هذا لم يكفرهم جمهور العلماء.

وقد فهم جميل حليم من كلام الشيخ زكريا إنكار وجحد الصفات كصفة القدرة والعلم ونحوهما وليس مرادا لهم ولا مقصودهم، وكلام أهل العلم واضح أن الخلاف مع المعتزلة في كونه سبحانه وتعالى عالما بعلم وقادرا بقدرة كما هو مذهب أهل الحق، أو أن الله قادر بذاته وعالم بذاته كما هو مذهب أهل الاعتزال، والرافضة وغيرهم، وهل يجرؤ الطبل الفارغ جميل حليم على تكفير الشيعة الإمامية وهو بين ظهرانَيهم وظهريهم أو يؤلف كتابا يصرح بتكفيرهم لاعتقادهم اعتقاد المعتزلة .[8]

---

[8] قال جميل حليم في تحذير اللبيب ما نصه : كتاب فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب للشيخ زكريا الأنصاري . ويجب التحذير مما في كتاب " فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب" ، في الهامش لمصطفى الذهبي الشافعي، يقولون فيه : " مبتدع لا نكفره ببدعته، كمنكري صفات الله وخلقه أفعال عباده وجواز رؤيته يوم القيامة. لاعتقادهم أنهم مصيبون في ذلك لما قام عندهم بخلاف من نكفره ببدعته كمنكري حدوث العالم والبعث والحشر للأجسام وعلم الله بالمعدوم وبالجزئيات لإنكارهم ما علم مجيء الرسول به ضرورة فلا تقبل شهادتهم اهـ. والعياذ بالله .

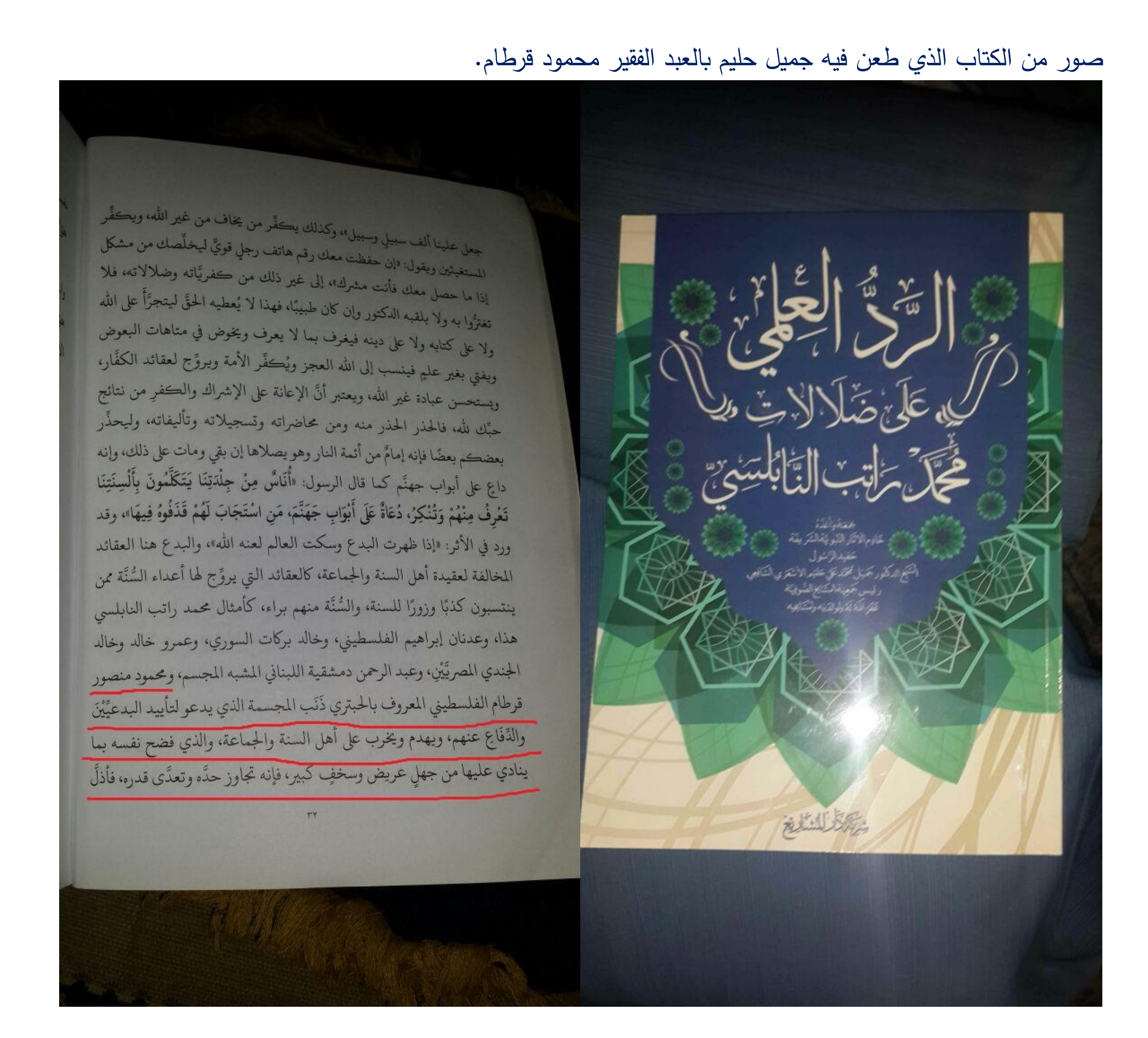
فقد نقل الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه فتح الباري شرح صحيح البخاري عن الإمام الحافظ ابن الجوزي الحنبلي أنه قال: جحده صفة القدرة كفر اتفاقا اهـ .

وما فهمه جميل حليم يدل على قله فهمه وجهله بنصوص العلماء. والمعتزلة لم ينكروا أصل الصفة، وكلام الشيخ زكريا نقله الشربيني في الإقناع, والبكري في إعانة الطالبين, والجمل. وعميرة, والقليوبي, والبجيرمي, وغيرهم.

ونكتفي بهذه النقول لرد كلام جميل حليم وبيان جهله وتهوره في نقله المشوب بالجهل والغفلة.

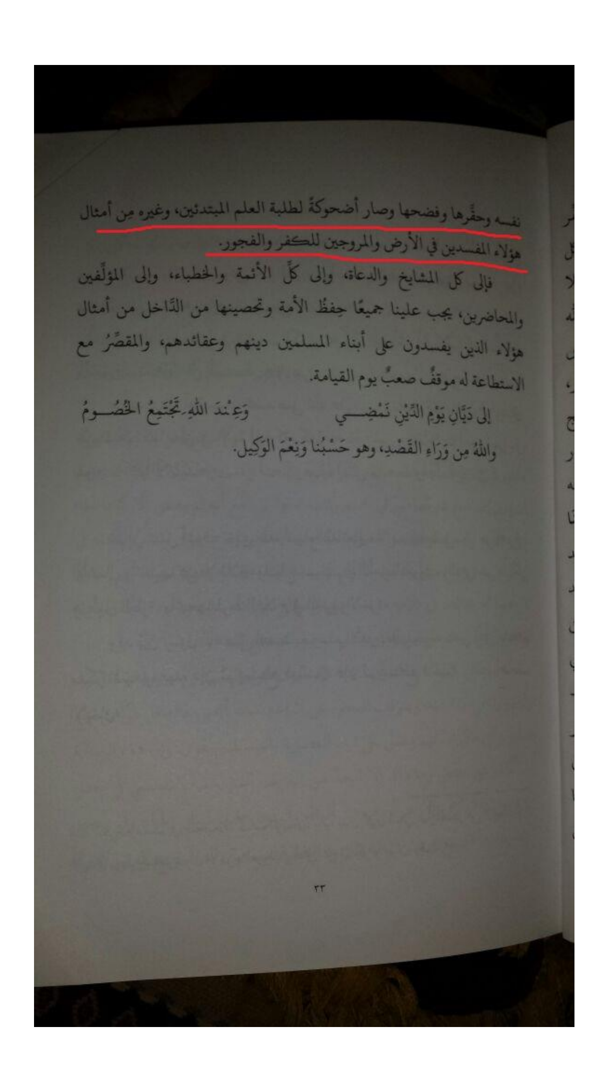
والله أعلم وأحكم، ولله الأمر من قبل ومن بعد وهو حسبي وعليه توكلت.

صور من الكتاب الذي طعن فيه جميل حليم بالعبد الفقير محمود قرطام.



جعل علينا ألف سبيلٍ وسبيل»، وكذلك يكفِّر من يخاف من غير الله، ويكفِّر المستغيثين ويقول: «إن حفظت معك رقم هاتف رجلٍ قويٍّ ليخلِّصك من مشكل إذا ما حصل معك فأنت مشرك»، إلى غير ذلك من كفريَّاته وضلالاته، فلا تغترُّوا به ولا بلقبه الدكتور وإن كان طبيبًا، فهذا لا يُعطيه الحقَّ ليتجرَّأ على الله ولا على كتابه ولا على دينه فيغرف بما لا يعرف ويخوض في متاهات البعوض ويفتي بغير علمٍ فينسب إلى الله العجز ويُكفِّر الأمة ويروِّج لعقائد الكفَّار، ويستحسن عبادة غير الله، ويعتبر أنَّ الإعانة على الإشراك والكفرِ من نتائج حبِّك لله، فالحذر الحذر منه ومن محاضراته وتسجيلاته وتأليفاته، وليحذِّر بعضكم بعضًا فإنه إمامٌ من أئمة النار وهو يصلاها إن بقي ومات على ذلك، وإنه داعٍ على أبواب جهنَّم كما قال الرسول: «**أُنَاسٌ مِنْ جِلْدَتِنَا يَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ، دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنِ اسْتَجَابَ لَهُمْ قَذَفُوهُ فِيهَا**»، وقد ورد في الأثر: «إذا ظهرت البدع وسكت العالم لعنه الله»، والبدع هنا العقائد المخالفة لعقيدة أهل السنة والجماعة، كالعقائد التي يروِّج لها أعداء السُّنَّة ممن ينتسبون كذبًا وزورًا للسنة، والسُّنَّة منهم براء، كأمثال محمد راتب النابلسي هذا، وعدنان إبراهيم الفلسطيني، وخالد بركات السوري، وعمرو خالد وخالد الجندي المصريَّيْنِ، وعبد الرحمن دمشقية اللبناني المشبه المجسم، ومحمود منصور قرطام الفلسطيني المعروف بالحبتري ذَنَب المجسمة الذي يدعو لتأييد البدعيَّيْنَ والدِّفاع عنهم، ويهدم ويخرب على أهل السنة والجماعة، والذي فضح نفسه بما ينادي عليها من جهلٍ عريض وسخفٍ كبير، فإنه تجاوز حدَّه وتعدَّى قدره، فأذلَّ

٣٢



نفسه وحقَّرها وفضحها وصار أضحوكةً لطلبة العلم المبتدئين، وغيره مِن أمثال هؤلاء المفسدين في الأرض والمروجين للكفر والفجور.

فإلى كل المشايخ والدعاة، وإلى كلِّ الأئمة والخطباء، وإلى المؤلِّفين والمحاضرين، يجب علينا جميعًا حِفظُ الأمة وتحصينها من الدَّاخل من أمثال هؤلاء الذين يفسدون على أبناء المسلمين دينهم وعقائدهم، والمقصِّرُ مع الاستطاعة له موقفٌ صعبٌ يوم القيامة.

إلى دَيَّانِ يَوْمِ الدِّيْنِ نَمْضِي — وَعِنْدَ اللهِ تَجْتَمِعُ الخُصُومُ

واللهُ مِن وَرَاءِ القَصْدِ، وهو حَسْبُنا وَنِعْمَ الوَكِيل.

٢٣